أولا- مستويات المجال العمومي.

بالنظر إلى الاهتمام الكبير، الذي حظي به **المجال العام** أو ما يعرف **بالفضاء العمومي**، (Espace Publique) و لا يزال، فإننا نجد أن اسم **"يورغن هابرماس"**، من أكثر الباحثين ارتباطا بهذه المسألة، حيث يرى " أن الفضاء العمومي، هو مجال للنقاش و الجدل، و الحوار و المسائل ذات العلاقة بالشأن العام"[1]، لذا اعتبر المجال العام في البداية، على أنه "المجال المادي الذي يمكن للإنسان شغله، واستخدامه و التنازع عليه و التحكم به، و بالتالي فهو نطاق ضيق من الفضاء العام.

كانت المسارح القديمة و حلبات ما قبل الحداثة، تؤدي وظيفة الساحات المركزية، و بحلول أواخر القرن 19، انضمت إليها مجالات عامة جديدة مفتوحة الميادين، و في القرن العشرين و مع مدّ الحركات الوطنية ضدّ الاستعمار، اكتسبت هذه المجالات معانٍ سياسية جديدة، حيث شهدت هذه الميادين عمليات قمع طالت الوطنيين، كسبت بعدا رمزيا عميقا."[2]

يوضح **هابرماس** في هذه النقطة تحديدا، فكرته حول المجال العام أكثر، من خلال تفسيره **للفعل التواصلي**، الذي يعتبر انه غاية في حد ذاته، و ليس فعلا أداتيا يشيّيء الآخر، فالتواصل مع الآخرين لا يسعى إلى تدجينه أو إلى تشييئه، بل هو ضرب من البحث، عن سلسلة من التفاهمات المشتركة، القابلة للتراكم ، فهو تواصل لا يفصل بين النظري و العملي.

يحدث الفعل التواصلي، ضمن ما اصطلح عليه **هابرماس** بالعالم المعيش، الذي يتألف من 3 مستويات:

- ✓ **الثقافة كمرجعية عامة**: يحدد كل مجتمع نفسه بالعلاقة مع الثقافة، و المجتمع باعتباره شبكة الروابط التي تؤطر لهده العلاقة، ضمن مجموعة اجتماعية معينة، و تمكنه من ربط قنوات التواصل مع محيطه.

---

[1] هواري حمزة، **مواقع التواصل الاجتماعي و إشكالية الفضاء العمومي**، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، العدد 20، ورقلة، سبتمبر 2015، ص 229.

[2] مروان م. كريدي، **المجال العام و فن الشارع و التواصل في الانتفاضات العربية**، من كتاب: **الاعلام و السياسة في أعقاب الانتفاضات العربية**، جامعة جورجتاون، الدوحة، 2017، ص 10.

- ✓ **الحجاج العقلي**: الذي يعتبره **هابرماس**، أنه لا يمكن أن يستقيم على غير سلطة العقل، و الذي يجب أن يكون بمنأى عن أية تأثيرات إيديولوجية.
- ✓ **الفضاء العمومي**: كل ما تم ذكره سابقا، لا يمكن أن يتحقق إلا داخل الفضاء العمومي، الذي تتحقق فيه شروط الديمقراطية، لذلك يرى **هابرماس** أن التفاهمات و التوافقات المشار إليها، لا يمكن أن تتم إلا في المجتمعات الديمقراطية، أما تلك غير الديمقراطية، فالعائق أمامها ليس فقط غياب الفضاء العمومي، بما يحتويه من تفاهمات، و لكن أيضا فجوة الإصلاح الديني.[3]

ثانيا- الجانب التاريخي للفضاء العمومي.

الفضاء العمومي، فضاء لأشخاص خاصين مجتمعين، بحيث يدافعون عن المجال العام المنظّم من طرف السلطة، و في نفس الوقت هم ضدها، من أجل نقاش القواعد العامة في ميدان تبادل السلع، و العمل الاجتماعي، لذا و في سياق متّصل، كانت الأسواق عبارة عن بنية مؤسساتية للمجال العام في روما، أما في فرنسا فقد كان القرّاء و المستمعين، و الجمهور بصفة عامة، يعتبرون **"العموم"** في القرن 17، إضافة إلى المستهلكين و نقاد الفن و الأدب.

استغل الرأي العام البرجوازي، مبدأ دعاية الإعلام، في المراقبة و الوقوف في وجه السلطة، لوضع حد لأسرار الدولة المطلقة، فهذا المبدأ المنشئ لفضاء عمومي برجوازي، بدا حقيقة في القرن 18، باعتباره فضاء سياسي جديد،[4]هذا الأخير تجسد بشكل جليّ، من خلال "الميديا الجديدة، التي أصبحت فضاء تواصلي بديل، و موازٍ، تتشكل فيه أنماط جديدة من التفاعل و التعبير، أين تحولت المضامين في سياق سانح، إلى قوة سياسية و ثقافية فاعلة، في المجتمع، قادرة على تغييره، لذا يشكل **المجال العمومي**، مدخلا لفهم العلاقة بين الإعلام التقليدي و الميديا الجديدة، بالنظر إلى أن المجال العام انتظم تاريخيا، من خلال وسائل الإعلام التقليدية"[5] كما ذكرنا سابقا.

---

[3] المختار بن عبد اللاوي، **هابرماس من الحداثة إلى الديمقراطية**، مجلة رهانات ، العدد 3، الدار البيضاء (المغرب)، ربيع 2007، ص 5.

[4] نور الدين علوش، **هابرماس و مفهوم الفضاء العمومي**، مجلة دراسات إنسانية و اجتماعية، العدد 4، وهران، جانفي 2014، ص-ص 232-233.

[5] الصادق الحمامي، **الميديا الجديدة و المجال العمومي الإحياء و الانبعاث**، مجلة اتحاد الإذاعات العربية، العدد 4، بيروت، سنة 2011، ص 15.

ثالثا- الفضاء العام عبر الانترنت.

يمكن للإنترنت، أن تساهم في إخراج المجتمع المدني، من دائرة العلاقة المتوترة بينه و بين المجتمع السياسي، فجيل الانترنت حمل معه، بداية ديمقراطية الحياة السياسية، و ظهور مجالات عديدة للتعبير الحر، و التفكير الناقد و الالتزام بقضايا وطنية، فضلا عن تبادل المعلومات و الأخبار و جلب التضامن و التعاطف للقضايا العادلة، و ستعطي الانترنت نفسا جديدا للديمقراطية، تماما مثل التلغراف في القرن 19، بفعل التطبيقات الجديدة التي وفّرت نشوة اتصالية غير مسبوقة، تمكّن الفرد من التخاطب مع أكثرية الناس دون عناء، إضافة إلى سرعة التفاعل و التحاور.[6]

الاتصال عبر الانترنت، هو أداة ربط فكرية و معنوية بين المستخدمين، و هو الوسيلة الأكثر استعمالا، لتحقيق الأهداف المتعددة في شتى المجالات، فبدون الاتصال، لا يمكن للمستخدمين الاستفادة من خدمات الانترنت، بمختلف أبعادها على المستويين العلمي و الاجتماعي، فيحدث التخاطب و التحاور عبر النصوص و الأصوات، و الرموز و الصور، و بذلك تتحقق إمكانية التعاون عن بعد، في الأعمال العامة و الخاصة، بين أناس ربما لم يلتقوا حقيقة، إلى جانب إذابة الوقت بين المتصلين.[7]

الجماعات الافتراضية، هي أكثر البنى الاجتماعية شيوعا، في الفضاء السبراني، و يمكن القول بأنها تجمع الأفراد أو الشركاء، من خلال مصلحة أو اهتمامات مشتركة، بحيث يعتمدون على تكنولوجيا المعلومات، في التواصل فيما بينهم، هذا الأخير تنظمه مجموعة من المعايير المتفق عليها، بين أعضاء هذا التجمع، فالمجتمعات الافتراضية في جزء منها، هي رد فعل و استجابة لجوع الأفراد، و افتقارهم إلى مجتمع محلي، بعد تفرق و تفكك المجتمعات المحلية التقليدية، حيث الانفتاح و اللاّمحدودية، عمّقا الشعور لدى المستخدم بحاجته إلى التعرف، على ثقافات الغير مما ساعده على اكتساب بعض السلوكيات الجديدة، ربما بشكل غير محسوس،[8]

---

[6] هواري حمزة، **مواقع التواصل الاجتماعي و إشكالية الفضاء العمومي**، مرجع سابق، ص 296.

[7] علي محمد رحومة، **الانترنت و المنظومة التكنو-اجتماعية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 170.

[8] محمد السيد، رجاء علي عبد العاطي، **العلاقات الاجتماعية للشباب بين دردشة الانترنت و الفيس بوك**، دار المعرفة الجامعية طبع نشر و توزيع، القاهرة، 2011، ص-ص 75- 76.

ممّا أدى بالكثير إلى التّنبّؤ، بأنّ "ثورة الاتصالات و المعلومات، ستؤدي إلى توسيع و تعزيز المجال العام في المجتمعات العربية".[9]

بعد ظهور الانترنت، "أثيرت آمال حول إمكانية تجديد الديمقراطية، عن طريق تسهيل انسياب المعلومات و التبادل بين الأفراد و الجماعات، و تمكين قطاعات أوسع من المواطنين، من المشاركة بفعالية أكبر في مناقشة القضايا العامة، و اتخاذ القرارات بشأنها، و لهذا يرى الكثير، أن الانترنت وسيلة مثلى للتقريب بين المواطنين و ممثّليهم في مؤسسات الدولة"[10]، و على هذا الأساس يمكن تقسيم وظائف المجال العام إلى قسمين:

تتمثل **الوظيفة الأولى**، في تنوير و تعليم المواطنين المستمر، في إطار مناقشات جماهير الفضاء العمومي، عبر تزويدهم بالمعلومات و البيانات الجديدة، ذات الصلة بالقضايا السياسية و الاجتماعية، و الاقتصادية المثارة.

أما **الوظيفة الثانية**، فتتمحور حول تحديد و ترتيب الأولويات، و القضايا الموجودة في داخل الأجندة السياسية، على الرغم من وجود انقسام بين الباحثين، حول صلاحية الفضاءات الافتراضية، في تكوين المجال العام بالمعنى الهابرماسي، حيث يؤكّد الاتجاه الأول، على عدم وجود علاقة بين المجتمعات الافتراضية و المجال العام، بينما يذهب الاتجاه الثاني، إلى إمكانية مساهمة الحيّز الافتراضي، في بناء المجال العام،[11] و هذا ما حدث فعلا في السنوات الأخيرة.

---

[9] جمال محمد راسم، **الاتصال و الإعلام في العالم العربي في عصر العولمة**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2006، ص 204.

[10] شوقي العلوي، **رهانات الانترنت**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 2006، ص –ص 95- 97.

[11] اسلام حجازي، **الثقافة الافتراضية و تحولات المجال العام السياسي: ظاهرة الفيس بوك في مصر نموذجا**، المركز الدولي للدراسات المستقبلية و الاستراتيجية، القاهرة، 2004، ص 7.